



Metaphor and Its Lexical Semantic Significance in Qāḍī 'Iyāḍ's Mashāriq al-Anwār

Mohamed Abdasalam Muftah Eswise*

Department of Arabic Language, Faculty of Languages, University of Al-Mergib, Libya

الاستعارة ودلالاتها المعجمية في كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض

محمد عبد السلام مفتاح اسويسي*

قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة المرقب، ليبيا.

*Corresponding author: maswise@elmergib.edu.ly

Received: 12-02-2026

Accepted: 17-04-2026

Published: 22-04-2026

Abstract

This study examines metaphor as one of the prominent rhetorical and semantic phenomena in Qāḍī 'Iyāḍ's Mashāriq al-Anwār 'alā Ṣiḥāḥ al-Āthār. It focuses on the relationship between metaphor and the lexical meanings of words occurring in Prophetic Hadith texts. The study is based on the idea that Arabic words are not limited to their original lexical meanings; rather, they may shift to figurative meanings through context and rhetorical usage. Metaphor is considered one of the most significant mechanisms that contribute to this semantic shift.

The research aims to reveal Qāḍī 'Iyāḍ's method in employing metaphor to explain difficult and uncommon expressions in Hadith, and to clarify its role in expanding, specifying, or redirecting meaning from a direct sensory sense to a figurative meaning appropriate to the context. The study adopts a descriptive analytical approach by presenting the theoretical concepts of metaphor and lexical semantics, then applying them to selected examples from Mashāriq al-Anwār.

The study concludes that Qāḍī 'Iyāḍ was clearly aware of the close relationship between lexical meaning and rhetorical meaning. His treatment of metaphor was not merely a rhetorical observation, but a semantic tool for understanding Prophetic texts and interpreting their intended meanings accurately. The study also shows that metaphor plays an important role in clarifying meaning, preventing literal misinterpretation of religious texts, and linking figurative meanings to their linguistic and lexical origins.

Keywords: Metaphor, Lexical Semantics, Qāḍī 'Iyāḍ, Mashāriq al-Anwār, Prophetic Hadith, Figurative Language, Rhetoric.

المخلص

يتناول هذا البحث ظاهرة الاستعارة بوصفها إحدى الظواهر البلاغية والدلالية البارزة في كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، وذلك من خلال دراسة علاقتها بالدلالة المعجمية للألفاظ الواردة في النصوص الحديثية. وينطلق البحث من فكرة أساسية مفادها أن اللفظ العربي لا يقتصر في استعماله

على دلالاته الوضعية الأصلية، بل قد ينتقل إلى دلالات أخرى مجازية بفعل السياق والاستعمال البلاغي، وتُعد الاستعارة من أهم الآليات التي تسهم في هذا الانتقال الدلالي.

ويهدف البحث إلى الكشف عن منهج القاضي عياض في توظيف الاستعارة لبيان معاني الألفاظ المشكّلة والغريبة في الحديث النبوي، وبيان أثرها في توسيع الدلالة أو تخصيصها أو صرفها عن معناها الحسي المباشر إلى معنى مجازي مناسب للسياق. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض المفاهيم النظرية المتعلقة بالاستعارة والدلالة المعجمية، ثم تطبيق ذلك على نماذج مختارة من كتاب مشارق الأنوار.

وتوصل البحث إلى أن القاضي عياض كان واعياً بالعلاقة الوثيقة بين المعنى المعجمي والمعنى البلاغي، وأن استعماله للاستعارة لم يكن مجرد ملاحظة بلاغية، بل كان وسيلة دلالية لفهم النص النبوي وتوجيه معناه توجيهاً صحيحاً. كما بيّن البحث أن الاستعارة عنده تؤدي دوراً مهماً في توضيح المعنى، وتنزيه النصوص الشرعية عن الفهم الحسي غير المراد، وربط الدلالة المجازية بأصولها اللغوية والمعجمية.

الكلمات المفتاحية : الاستعارة، الدلالة المعجمية، القاضي عياض، مشارق الأنوار، الحديث النبوي، المجاز، علم البيان.

المقدمة:

مما لا ريب فيه أن لكل لفظ من ألفاظ اللغة العربية دلالة معجمية تؤديها، ويقوم على أساسها التعارف والتفاهم بين أهل اللغة، وتتم عملية التخاطب والتفاهم بمعرفة الألفاظ ودلالاتها والتنسيق بينها وتركيبها على هيئة جمل، وللألفاظ معانٍ ودلالاتٌ عامة أساسية وقد تكون متعددة لبعضها اتفق على تسميتها بالمعنى الأصلي للكلمة، ومعانٍ أخرى تخرج فيها الكلمة عن معناها الأصلي الموضوع لها أولاً إلى معنى آخر يستفاد من السياق أو التركيب وهو ما يعرف بالمجاز، والذي نلمسه في علم البلاغة ويمثله التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.

وحيث إن المجاز ظاهرة من الظواهر البلاغية فإنه يعد من أهم تلك الظواهر التي أسهمت في الانتقالات الدلالية المختلفة للألفاظ من خلال المعنى، وهو بذلك يرتبط بالتطور الدلالي الذي يعد ظاهرة لغوية.

وعليه فإنني في هذا البحث سأسلط الضوء على نوع من أنواع المجاز في البلاغة العربية وارتباطه بالدلالة المعجمية عند القاضي عياض من خلال كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار الذي اعتنى فيه بدراسة السنة النبوية المطهرة المتمثلة في الأحاديث الشريفة الواردة في الصحيحين والموطأ من حيث تقويم الألفاظ المشكّلة والغريبة وشرحها وضبطها وضبط أسماء الكنى والأنساب وغير ذلك، وما يهمني في هذا البحث ويقع التركيز عليه هو عنايته بالألفاظ، حيث سيعالج البحث كيفية توظيف القاضي عياض لصورة الاستعارة في بيان دلالة الألفاظ الواردة في أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال كتابه مشارق الأنوار، إذ البحث الدلالي يعد من أهم الوسائل التي يُستعان بها في فهم النصوص النبوية، كما يعالج البحث الدور الذي تؤديه البلاغة في بيان معاني هذه الألفاظ.

وتتمثل إشكالية البحث وأسئلته في الآتي:

كيف أسهمت الاستعارة في تحديد الدلالة المعجمية للفظ عند القاضي عياض؟

هل كان القاضي عياض يهدف من وراء التصريح بالاستعارة إلى توسيع المعنى أم تخصيصه؟
أما أهدافه فتتمثل في حصر الظاهرة البلاغية (الاستعارة) في الكتاب، وتحليل العلاقة بينها وبين دلالة اللفظ في المعجم، والكشف عن منهج القاضي عياض في توظيف البلاغة لخدمة التأصيل المعجمي.

وقد وقع اختياري على هذا العنوان لقلّة الدراسات الدلالية المعجمية فيما يتعلق بالمروروث العلمي للقاضي عياض من خلال مؤلفاته، وبالتالي الكشف عن منهجه في الدلالة المعجمية وتسخيرها لفهم النصوص النبوية في كتابه مشارق الأنوار.

وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي الذي أقوم من خلاله على وصف النموذج المعد للتحليل والدراسة من الكتاب، ثم الوقوف على دلالاته المعجمية التي التي استعملها المؤلف في بيان مفهوم نص الحديث، وعلى هذا رأيت أن أقسم البحث على النحو الآتي:
المقدمة: وفيها بيان لأهمية البحث وأهدافه، وتعريف بالقاضي عياض.
المبحث الأول: الاستعارة وتحت مطالب تتعلق بالاستعارة.
المبحث الثاني: الدلالة المعجمية، وتحت مطالب بيان لها.
المبحث الثالث: الاستعارة والدلالة المعجمية في كتاب مشارق الأنوار، دراسة تطبيقية.
الخاتمة.

بعض الدراسات السابقة:

- دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر.
- الدلالة المعجمية وأثرها في الكشف عن المعنى القرآني: "دراسة تطبيقية من خلال نظرية الحقول الدلالية، ندا أحمد إبراهيم عبدالعزيز، بحث في مجلة (حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية) نشر: جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالمنوفية، مصر، العدد: 36، ج1.
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية.
- علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة.

التعريف بالقاضي عياض:

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن محمد بن موسى ابن عياض اليحصبي السبتي؛ ولد رحمه الله بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة. كان القاضي إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة أشهرها (كتاب الشفاء)... والإكمال (إكمال المعلم في شرح كتاب مسلم) كمل به (المعلم في شرح مسلم) للمازري، ومنها (مشارق الأنوار) وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي: الموطأ والبخاري ومسلم، وشرح حديث أم زرع شرحاً مستوفياً، وله كتاب سماه (التنبيهات) جمع فيه غرائب وفوائد، وبالجملة فكل تواليه بديعة⁽¹⁾.

وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسائة، رحمه الله تعالى، ودفن بباب إيلان داخل المدينة؛ وتولى القضاء بغرناطة سنة اثنتين وثلاثين وخمسائة⁽²⁾. رحمه الله رحمة واسعة وغفر له.

المبحث الأول الاستعارة

الاستعارة ضرب من المجاز علاقته المشابهة وهي عبارة عن تشبيه حذف أحد طرفيه وتدخل في مسائل علم البيان الذي هو نوع من أنواع البلاغة مع المعاني والبديع، « واستعار الشيء منه طلب أن يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ عَارِيَةً وَيُقَالُ اسْتَعَارَهُ إِيَّاهُ، وَالْعَارِيَةُ هِيَ مَا تَعْطِيهِ غَيْرُكَ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُ إِلَيْكَ»⁽³⁾.

(1) ينظر وفيات الأعيان وأبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت 3 - 483.

(2) نفسه: 3 - 485.

(3) المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة: الثانية 1972م دار الفكر بيروت (عار).

وتعد الاستعارة من أبرز الظواهر البلاغية التي عرفها العرب في أساليبهم الأدبية، وعدها البلاغيون أسلوباً من أساليب التصوير البياني، وتطلق عندهم على أنها مجاز، أي: لفظ مستعمل في غير ما وضع له في الأصل لعلاقة المشابهة، وهذه العلاقة تكون بين المعنى الأصلي (الحقيقي) وبين المعنى المجازي⁽⁴⁾، إذاً فالاستعارة تقنية أدبية تعتمد على استخدام كلمة أو عبارة لوصف شيء ما بطريقة غير مباشرة، من خلال ربطها بشيء آخر مشابه.

بين التشبيه والاستعارة:

وهناك خلاف بين البلاغيين مرده هل الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه؟ أم أنها ضرب من ضروب المجاز؟، فقد كان الاختلاف موجوداً بين علماء البلاغة في هذه المسألة، فالمعروف أن التشبيه يتكون من أربعة أركان: المشبه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، وهذه الأركان قد تذكر جميعها، وقد تحذف الأداة، أو وجه الشبه، أو هما معاً، وحينئذ ليس ثمت خلاف في عد هذه الصور من التشبيه وليست من الاستعارة، ولكن قد يلحق بحذف الأداة ووجه الشبه حذف المشبه فيحذف وينوى تقديره، فيقع الخلاف بين البلاغيين، فمنهم من عد هذه الصورة تشبيهاً، ومنهم من عدّها استعارة، فقدمى البلاغيين يرون أن الاستعارة تشبيه محذوف طرفاه أو أحدهما، أي أن أصلها تشبيه ثم حُذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وأقيم المشبه به مقام المشبه. مثال: (رأيت أسداً) يريدون (رأيت رجلاً كالأسد)، والقدمى كالجاحظ وابن المعتز والرماني لم يذكروا في كلامهم صراحة بعبارة الاستعارة تشبيه مختصر بهذه الصيغة، لكن منهجهم في تعريف الاستعارة ونماذج تطبيقاتها يدل على أنهم يؤسسون لها على علاقة التشبيه، فهم يعرّفونها بأنها: نقل اللفظ من معنى إلى معنى، أو تسمية الشيء باسم غيره، وهذا يستلزم وجود أصل منقول عنه (هو المعنى الأصلي) وعلاقة جامعة بين المعنيين هي التشبيه⁽⁵⁾، وهذا يختلف عن منهج الجرجاني وبعض المتأخرين الذين جعلوا الاستعارة (ادعاءً وتخيباً) يتجاوز التشبيه.

فالمتأخرون وأبرزهم عبد القاهر الجرجاني يرون أن الاستعارة ليست تشبيهاً، بل هي إيجاد معنى جديد يقوم على نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة الأصل، فالاستعارة عندهم خيال وتصوير، وليست اختصاراً للتشبيه.

فمثلاً قولنا: رأيت أسداً عند القدمى تشبيه لا استعارة لأن التقدير: (زيد كالأسد في الشجاعة) تشبيه بثلاثة أركان، فإننا: نحذف المشبه (زيد)، ونحذف أداة التشبيه (الكاف)، ونحذف وجه الشبه (الشجاعة)، ونبقي المشبه به (الأسد) ونعطي حركات المشبه المحذوف، فتصبح العبارة: (رأيت أسداً)، والمراد: رأيت زيدا الذي هو كالأسد، إذاً فالاستعارة عندهم اختصاراً للتشبيه.

وأما الجرجاني ومن معه فإن قولك: (رأيت أسداً) وتريد رجلاً شجاعاً، عندهم استعارة لا تشبيه، فهذا القول ليس اختصاراً للتشبيه، بل هو عملية ذهنية أعمق تتجاوز حقيقة الرجل أنه إنسان ضعيف وتسلب حقيقة الأسد أنه حيوان مفترس وتنقلها إلى الرجل، وتدعي أن الرجل أسد حقيقةً وليس كالأسد، وهذا الادعاء هو الذي يخلق الإيهام والتخيل، وهو جوهر البلاغة⁽⁶⁾.

وعليه فالخلاف بين الرأيين خلاف نظري منهجي لا تطبيقي، فيمكن القول: إن الاستعارة في أساسها البنيوي تحتفظ بعلاقة التشبيه (وهو ما يُفسر إمكانية ردها إلى تشبيه)، ولكنها في جوهرها الجمالي والدلالي تتجاوز التشبيه إلى الإيهام والاتحاد، فالقدمى يركزون على البناء اللغوي (الحذف والاختصار)، بينما الجرجاني يركز على العملية الذهنية (التخيل والابتكار)، وفي التطبيق العملي لا يختلف الحكم البلاغي للنص كثيراً بين الرأيين فكلاهما استعارة.

(4) ينظر "مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح"، ابن يعقوب المغربي، نشر أدب الحوزة، دار الكتب العلمية، بيروت: 45.

(5) ينظر: البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت: 1423هـ، 1: 142، وينظر: البديع في البديع، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت 296هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م، 75، وينظر: النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني (ت 384هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغول سلام، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة، 1976م 85.

(6) ينظر دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن عبد الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة 2004م: 437.

أقسام الاستعارة:

تجدر الإشارة أولاً إلى أن أصل الاستعارة تشبيه بليغ حُذِفَ أحد طرفيه، والمشبه يُسمى (مستعاراً له)، والمشبه به (مستعاراً منه)، واللفظ المستعمل (مستعاراً). وللاستعارة تقسيمات من عدة وجوه نوجزها في الآتي:

أولاً: التقسيم بحسب ذكر طرفيها (تصريحية ومكنية):

يعد هذا التقسيم من أشهر أقسام الاستعارة وأكثرها تداولاً عند البلاغيين، ويعتمد على ما إذا كان المشبه (المستعار له) مذكوراً أم محذوفاً.

1. الاستعارة التصريحية:

وهي ما صرح فيها بذكر المشبه به (المستعار منه) وحذف فيها المشبه (المستعار له)، مثل قولك: (رأيت أسداً في المعركة)، فالأصل: (الجندي كالأسد)، الجندي مشبه والأسد مشبه به فحذف المشبه (الجندي)، وصُرحَ بالمشبه به (أسداً)، ومن ذلك قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [إبراهيم: 1]، فقد شُبهَ الضلال بالظلمات، والهدى بالنور، فحذف المشبه (الضلال والهدى) وصُرحَ بالمشبه به (الظلمات والنور).

2. الاستعارة المكنية:

هي ما حذف فيها المشبه به أو (المستعار منه)، ورمز له بشيء من لوازمه ودُكر فيها المشبه (المستعار له)، كقول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها أفيت كل تميمة لا تنفع (7)

فقد شبهت المنية هنا بسبع مفترس، بجامع الاغتيال في كل، واستعار السبع (المشبه به) للمنية وحذفه، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (الأظفار) على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها لفظة (أظفار) (8).

وكقولنا: (السماء تبكي)، فالمشبه مذكور (السماء)، والمشبه به محذوف (الإنسان الذي يبكي)، ورمز له بصفة من صفاته (البكاء)، ومنه قوله تعالى: {وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: 24]، فقد شُبهَ الذل بطائر له جناح، فحذف المشبه به (الطائر) وأتي بشيء من لوازمه (الجناح).

ثانياً: التقسيم بحسب اللفظ (أصلية وتبعية)

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى قسمين، ويعتمد هذا التقسيم على طبيعة اللفظ المستعار: هل هو لفظ جامد أم مشتق؟

1. الاستعارة الأصلية:

وهي التي يكون فيها اللفظ المستعار اسماً جامداً (غير مشتق)، سواء كان اسم جنس مثل: أسد، بحر، بدر، أو اسم معنى مثل: ظلمات، نور، ومثالها: (رأيت بحراً يعطي)، يريد رجلاً كريماً، فاللفظ المستعار (بحر) اسم جامد، ومنها قوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) يقال في إجراء هذه الاستعارة: شبه الذل بطائر، واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر، للمشبه وهو الذل على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح. (9)

2. الاستعارة التبعية:

وهي التي يكون فيها اللفظ المستعار فعلاً أو اسماً مشتقاً، مثالها قوله تعالى: ((وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ)) [الأعراف: 154] فالآية الكريمة اشتملت على استعارة تصريحية تبعية، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به (سكت)، وفي إجرائها نقول: شبه انتهاء الغضب عن موسى

(7) ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق، د. أحمد خليل الشال، ط: الأولى 1435هـ-2014م، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية 205/4842م: 49.

ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت 1362هـ) (8)

ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت: 261.

ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، 264. (9)

بالسكوت بجامع الهدوء في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السكوت للمشبه وهو انتهاء الغضب، ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب الفعل (سكت) بمعنى انتهى⁽¹⁰⁾. هذه هي أقسام الاستعارة عند البلاغيين، وهي كما ترى تختلف باختلاف المناحي التي ينظرون بها إليها، وهناك تقسيمات وتفصيلات أخرى حول الاستعارة لا يسع المقام لذكرها، وسأحاول في هذا البحث تتبع نماذج من استعارات القاضي عياض وتحليلها وفق هذه الأقسام، مع التركيز على الأثر المعجمي الذي تحدثه كل صورة بلاغية في الدلالة اللغوية.

المبحث الثاني الدلالة المعجمية

ينبغي قبل الحديث عن مفهوم الدلالة المعجمية أن نقف عند مفهوم الدلالة، ومن ثم مفهوم المعجم وبشكل موجز.
الدلالة:

تأتي في اللغة بمعنى «الإرشاد وَمَا يَفْتَضِيهِ اللَّفْظُ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ، جمع دَلَالٍ ودلالات»⁽¹¹⁾، ومصدر "دلَّ يدلُّ دلالةً ودلولةً، أي أرشد وأعلم، وقد دلَّه على الطَّرِيقِ يَدُلُّه دلالةً ودلالةً ودلولةً، وَالْفَتْحُ أَعْلَى"⁽¹²⁾.

أما الدلالة في الاصطلاح: فهي العلاقة بين اللفظ والمعنى التي تجعل اللفظ يدل على المعنى ويرتبط به في ذهن المتكلم والسامع، وقيل: هي ما يفهم من اللفظ عند إطلاقه في سياق معين⁽¹³⁾.

ويرى الجرجاني أن مفهوم الدلالة «كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»⁽¹⁴⁾، وهذا التعريف يعد بياناً لمفهوم الدلالة بمعناها العام.

ومن خلال التعريف الاصطلاحي نرى أن هناك ارتباطاً بين الدلالة والمعنى وهذا الارتباط يكون بين الصورة المرسومة في الذهن وبين الواقع أو الخارج، وقد أشار القرطاجني لهذا الارتباط فقال: «للمعنى وجود آخر من جهة الألفاظ»⁽¹⁵⁾.

المعجم:

تأتي هذه المفردة من المادة اللغوية (عجم) ولها عدة معانٍ ودلالات في اللغة زخرت بها معاجمنا اللغوية، فهي تأتي بمعنى الإبهام وعدم الوضوح، وبمعنى الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، والذي لا يتكلم، وحروف المعجم هي الحروف المقطعة؛ لأنها أعجمية، وسمي الكتاب معجماً، وعجميته تعني تنقيطه كي تتضح كلماته وتستبين عجمته⁽¹⁶⁾.

وفي الاصطلاح: هو «ديوان لمفردات اللُّغَةِ مُرتَّب على حُرُوف المعجم (ج) معجمات ومعاجم وحروف المعجم حُرُوف الهجاء»⁽¹⁷⁾. وعرفه أحد الدارسين بقوله: «المعجم مرجع يشتمل على ضروب ثلاثة الأول: وحدات اللغة مفردة أو مركبة، الثاني: النظام التبويبي، الثالث: الشرح الدلالي»⁽¹⁸⁾.

ينظر علم البيان، عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - (10)
لبنان عام النشر: 1405 هـ - 1982 م : 183.

المعجم الوسيط، (دل). (11)

ينظر لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت 711هـ) دار صادر (12)
بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة - 1414هـ (دل) -

ينظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر التهانوي⁽¹³⁾
(ت بعد 1158هـ) تحقيق: د.علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة الأولى 1996م، 1: 787.

معجم التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار التنزيل، (14)
القاهرة: 91.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب (15)
الإسلامي، الطبعة الثالثة 1983م 2 : 18.

ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، و الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (عجم). (16)

المعجم الوسيط: (عجم). (17)

المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، عمان 1435هـ-1978م: 33. (18)

وبما أن موضوع بحثنا يصب في جزئية من أجزاء علم البيان الذي هو فرع من فروع البلاغة فلا بد أن نشير هنا إلى أن هناك صلة بين علم البيان وبين الدراسة المعجمية، حيث إن مجال علم البيان كمجال المعاجم، فكلاهما ينظر في العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها، فعلماء البيان كانوا دائماً على ذكر من الطبيعة العرفية لوضع الكلمة، ومن تخصيص كل كلمة بمعنى تدل عليه بحسب الوضع، فلا تكون أوسع منه ولا أضيق في الدلالة⁽¹⁹⁾.

ومن خلال الاستقراء تبين أن الدلالة تقوم على ثلاثة أركان أساسية نوجزها في الآتي:
اللفظ (الدال)، وهو الكلمة أو العبارة المستعملة، و**المعنى (المدلول)**، وهو المفهوم الذهني الذي يقصده المتكلم، و**العلاقة (الدلالة نفسها)**، وهي الرابط الذي يجمع بين اللفظ والمعنى. وللعلماء تقسيمات كثيرة للدلالة نذكر منها ما يهم بحثنا:

النوع الأول: الدلالة الوضعية: كدلالة الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة لها، كدلالة التراب، والسقف، والسماء، والأرض على مسمياتها، وهي الدلالة العرفية أو الاصطلاحية التي تعارف عليها الناس، ونشأت بوضع المخترع أو واضع اللغة، حيث يرتبط لفظ معين بمعنى معين بمقتضى الاصطلاح اللغوي، مثل دلالة لفظ أسد على الحيوان المفترس، فهذه دلالة وضعية أصلية لا تحتاج إلى قرينة.
النوع الثاني: الدلالة المجازية: وهي انتقال اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لعلاقة ما (كالاستعارة)، مع بقاء إمكان العودة إلى المعنى الأصلي، مثل دلالة لفظ (أسد) على الرجل الشجاع، فهذه دلالة مجازية عارضة نشأت عن الاستعمال البلاغي.

النوع الثالث: الدلالة السياقية: «أي ما يكون قد طرأ على الكلمة من تطور دلالي بحسب القوانين التي ترصد حركة الألفاظ والدلالات عبر العصور»⁽²⁰⁾، فهي إذاً المعنى الذي يفهم من اللفظ بسبب السياق الذي ورد فيه، دون أن يصبح هذا المعنى ثابتاً في المعجم، مثل: لفظ "بحر" في سياق الكرم يدل على الرجل الكريم، وفي سياق العلم يدل على العالم الواسع المعرفة.

النوع الرابع: الدلالة المعجمية: وهي المعنى الثابت للفظ في المعجم، بعد أن استقر نتيجة كثرة الاستعمال، سواء كان أصلياً أم مجازياً أصبح حقيقة لغوية، مثل دلالة لفظ (الصراط) على الدين الحق بعد أن كان في الأصل يعني الطريق الواضح، فهذه دلالة معجمية نشأت عن استعمال مجازي ثم استقرت.
الدلالة المعجمية والاستعمال البلاغي:

هذا المحور يعد الأهم في هذا البحث، وهو العلاقة بين الدلالة المعجمية والاستعمال البلاغي (الاستعارة)، والتي يمكن تناولها عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الدلالة الوضعية الأصلية حيث يكون للفظ معنى واحد ثابت، واضعه هو اللغة، مثال: الظلمة تدل على انعدام النور، والنور يدل على الضوء والضياء.

المرحلة الثانية: الاستعمال البلاغي (المجازي) بحيث ينتقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى جديد لعلاقة (مشابهة أو لزوم)، مثل الظلمات تستعار للضلال والكفر، والنور يستعار للهدى والإيمان.

المرحلة الثالثة: الاستقرار المعجمي إذا كثر استعمال اللفظ في معناه المجازي، قد يصبح هذا المعنى دلالة معجمية مستقرة، تذكر في المعاجم إلى جانب المعنى الأصلي، مثال تطور دلالة لفظ الصراط حيث إن أصله المعجمي: الطريق الواضح، ولكنه قد يستعمل بلاغياً: فيستعار للدين الحق لأنه طريق إلى الجنة، فالاستقرار المعجمي للصراط أصبح في الاستعمال البلاغي يدل على الدين الحق، وهذا المعنى يذكر في المعاجم.

إذا فالدلالة المعجمية بهذا المفهوم هي المحور الذي تدور حوله دراستنا للاستعارة في مشارق الأنوار، إذ نسعى إلى تتبع كيفية انتقال الألفاظ من دلالاتها الوضعية الأصلية إلى دلالات جديدة عبر الاستعمال البلاغي، ثم استقرار بعض هذه الدلالات في المعجم، والقاضي عياض يمثل نموذجاً متميزاً في هذا المجال،

اللغة العربية معناها وميناها، تمام حسان عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م: 19. (19)

علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، د. فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا - الطبعة الثانية 1447 - 1996: 22. (20)

لأنه يربط بين المعجم والبلاغة ربطاً واعياً، فيذكر المعنى اللغوي ثم يبين الاستعارة التي ولدت معنى جديداً، مما يجعل كتابه مادة خصبة لدراسة التفاعل بين الدلالة المعجمية والاستعمال البلاغي.

العلاقة بين الدلالة المعجمية والاستعارة في مشارق الأنوار:

بعد استعراض المفاهيم حول الاستعارة والدلالة المعجمية، يمكننا أن نخلص إلى أن العلاقة بينهما في كتاب "مشارق الأنوار" تقوم على الآلية التالية:

1. **الدلالة المعجمية الأصلية** هي نقطة الانطلاق، حيث يذكر القاضي عياض المعنى اللغوي الأصلي للفظ استناداً إلى معاجم اللغة.
2. **الاستعارة** وهي آلية الانتقال، حيث يبين كيف انتقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى جديد بواسطة علاقة المشابهة في الاستعارة.
3. **الدلالة المعجمية الجديدة** هي النتيجة، حيث يستقر المعنى الجديد في الاستعمال الديني أو اللغوي، ويصبح دلالة معجمية ثابتة.

المبحث الثالث: الاستعارة والدلالة المعجمية

بعد أن استعرضنا فيم سبق الإطار النظري للدلالة المعجمية والاستعارة، ننتقل في هذا المبحث إلى التطبيق المباشر على نصوص من كتاب (مشارق الأنوار) للقاضي عياض، لتبين كيف وظف هذه الظاهرة البلاغية في خدمة التحليل المعجمي.

إن الاستعارة هي أبرز الظواهر البلاغية، وأكثرها قدرة على توليد دلالات جديدة، والاستعارة - كما تقدم - نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لعلاقة المشابهة، وهي في منهج القاضي عياض لا تقتصر على مجرد الإشارة إلى وجودها في النص، بل تتجاوز ذلك إلى تحليل أثرها في تحديد الدلالة المعجمية للفظ الغريب.

وسنحلل في هذا المبحث نماذج مختارة من الأحاديث النبوية التي أشار القاضي عياض فيها إلى الاستعارة، متتبعين الدلالة في مراحلها الثلاث: الوضعية الأصلية، والاستعمال البلاغي، والاستقرار المعجمي، وسنبين كيف أن القاضي عياض لم يكن منظرًا بلاغياً جافاً، بل كان همّه الأكبر كشف المعنى وتوضيحه، مستعيناً بالاستعارة كأداة دلالية لا غاية في ذاتها.

نماذج مختارة من كتاب مشارق الأنوار:

جاء في كتاب مشارق الأنوار في باب الهمزة مع الذال وفي كلمة (أذن): قوله: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتعنى بالقرآن»⁽²¹⁾، قال القاضي معلقاً على هذا الحديث: «هذا بكسر الذال، وفي رواية كأذنه بفتح الهمزة والذال... ومعناه ما استمع لشيء كاستماعه لهذا، وهو تعالى لا يشغله شأن عن شأن. وإنما هو استعارة للرضى والقبول لقراءته وعمله، والثواب عليه، وكذلك إذا جاء أذن من الإذن بمعنى الإباحة فهو مثله في الفعل مقصور الهمزة مكسور الذال والاسم من هذا إذناً وهو لفظ متكرر»⁽²²⁾ أشار القاضي عياض في سياق حديثه إلى أن هناك استعارة، حيث ذكر أن المعنى الذي يدل عليه الحديث من خلال الدلالة الوضعية الأصلية لأذن هو الاستماع، ولكن لاحظ القاضي أن هناك استعمالاً بلاغياً حصل على سبيل الاستعارة، حيث إن هناك إسناداً إلى الذات الإلهية في قوله عليه الصلاة والسلام أذن الله، الذي لا يمكن معه الحمل على الحقيقة لتنزيهه عز وجل عن معنى الإصغاء الذي هو معنى من معاني أذن، لأنه يستحيل في حقه سبحانه وتعالى، فإسناد الفعل هنا لله سبحانه وتعالى جاءت في سياق التشريف والتعظيم، وهذه هي القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي في هذا السياق، وبهذا يشير إلى أن لفظة أذن لم تستعمل في معناها الوضعي أو الحقيقي بل تعدته إلى معنى آخر وهو الرضى والقبول لقراءته، فهي إذاً استعارة، ودلالة معجمية غير أصلية.

صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن (21)

كثير، دار اليمامة دمشق، الطبعة: الثالثة، 1407 - 1987 ج 4 رقم الحديث 4735.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (22)

الملكلي، تحقيق: صالح أحمد الشامي، دار القلم - دمشق الطبعة الثانية 1440هـ- 2018م 1: 83 .

ومن هنا يتبين لنا أن الإصغاء الإلهي الذي هو الرضى والقبول لازمه الإكرام وإجزال الثواب، دون إثبات أذن حقيقة هو دلالة معجمية متولدة، فالقاضي عياض أدرك الأبعاد البلاغية للنص، فأثبت استعارة في لفظة أذن في هذا السياق، وقد أسهم إدراكه هذا في صرف اللفظ عن ظاهره الحسي لتنزيه الله عن سمات المخلوقين، وتوليد دلالة معجمية جديدة للفظ أذن عندما يكون بمعنى الإصغاء ويسند إلى الله تعالى ذكره. ومن الاستعارات التي ذكرها القاضي في كتابه عند تعرضه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم والذي نصه فيما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال: في أذنيه»⁽²³⁾ حيث قال رحمه الله: «وقوله بال الشيطان في أذنيه ذكر الطحاوي أنه استعارة لا على الحقيقة وعبرة عن الطوع وفعل أقبح ما يفعل بالنوم ومن يذل ويقهر وقال الحربى بال هنا بمعنى ظهر عليه وسخر منه وقال ابن قتيبة معناه هنا أفسده وقال غيره يقال لمن استخف بإنسان وخدعه بال في أذنه. وقد يكون بال في أذنه كناية عن ضرب النوم عليه واستعار ذلك له وخصه بالأذن لكونها حاسة المتنبه بكل حال وموقظة النائم بما يطرأ عليه من الأصوات»⁽²⁴⁾.

يتبين لنا من خلال استقراء كلام القاضي عياض أن الحديث مشتمل على استعارة وهذا منقول عن الطحاوي⁽²⁵⁾ في كتابه "مشكل الآثار" حيث أشار إلى أن هذا الحديث من باب الاستعارة لا الحقيقة، والاستعارة هنا استعارة تمثيلية، حيث شُبّهت حالة النائم الثقيل المتكاسل عن الصلاة والذي لا يستيقظ، بحالة من سُدّت أذنه بالبول فامتنع عن سماع الحق والنداء.

وعليه يتبين من تحليل حديث "بال الشيطان في أذنيه" في ضوء منهج القاضي عياض أنه أدرك الأبعاد البلاغية للنص، فأثبت أنه من باب الاستعارة لا الحقيقة، وقد أسهم هذا التحليل في صرف اللفظ عن ظاهره الحسي مع الإيمان بأن الشيطان له قدرة على التصرف بآدم، وهذه الصورة البلاغية أنسب لتنزيه ساحة الشرع عن الإخبار بأمور مستقرة حساً مع استحالة إثباتها قطعاً.

كما يتبين لنا أن هناك توليداً لدلالة معجمية جديدة للتعبير الحديثي المرتبط بأفعال الشياطين، حيث أصبح يستعمل للدلالة على التثبيط والإفساد المعنوي، لا الفعل الحسي المادي.

كما أن الاستعارة هنا وظفت دلالتها كأداة لفهم النص الشرعي، خاصة في باب الإخبار عن الأمور الغيبية التي لا تدركها حواس البشر، وهذا ما أدركه القاضي عياض فهو لم يتعامل مع هذا الحديث على أنه إخبار عن حقيقة حسية، وإنما أدرك أنه من باب التمثيل والتقريب للمعنى، وأن المراد تثبيط الشيطان للإنسان وإفساده عليه حتى لا يسمع النداء، فجعل ذلك بمنزلة البول في الأذن الذي يمنع السمع.

إذاً هناك دلالة أصلية للفظ بال وهي خروج البول حقيقة وهو فعل حسي مادي مستقذر ينطهر منه الإنسان، ودلالة معجمية مجازية، من خلالها أصبح تعبير بال الشيطان في أذنه يحمل دلالات معجمية جديدة في الخطاب الشرعي.

ومن الاستعارات التي أشار إليها القاضي وتنبه إليها ما ذكره معلقاً على قول النبي صلى الله عليه وسلم: «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَالَ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الْخَضْبَاءَ»⁽²⁶⁾ حيث قال القاضي: «وقوله: (حتى خضب دمع الحصى)⁽²⁷⁾ يقال: خَضَبَ وَخَضِبَ: بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ فِي الدَّمْعِ وَالْحَصَى، وَأَصْلُهُ فِي الشَّعْرِ، وَالصَّبْغُ بِالْحُمْرَةِ»⁽²⁸⁾.

صحيح البخاري: ج 3 : ص 1193.⁽²³⁾

مشارك الأنوار: 1 : 288 .⁽²⁴⁾

من قَرْيَةٍ مِنْ مِصْرَ يُقَالُ لَهَا بِنِ سَلْمَةَ سَلَامَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَزْدِيِّ الطَّحَاوِيِّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو جَعْفَرٍ⁽²⁵⁾ طَحَى وَبَلَغَ مِنَ السِّنِّ ثَمَانِينَ سَنَةً وَتُوِّفِيَ سَنَةَ (322هـ)، (الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم [ت 380هـ]. الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة: الثانية (مزينة ومنقحة)، 1435هـ - 2014م : 30-31.

صحيح البخاري: ج 3 : ص 1111.⁽²⁶⁾

لفظ الحصى في الحديث لم أجده لا في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم، وكلاهما أورد الحديث بلفظ⁽²⁷⁾

(الخصباء) وهو الحصى الصغير، والخضب الصبغ.

مشارك الأنوار: 1 : 629 .⁽²⁸⁾

أشار القاضي عياض في حديثه إلى أن في هذا الأثر استعارة، حيث استعير الصبغ بشي يغير اللون إلى الدمع فشبه الدمع بالصبغ الذي يغيّر لون الشيء، ثم حذف المشبه به الصبغ ورمز إليه بلازم من لوازمه وهي كلمة خضب، ولعل المراد هنا المبالغة في البكاء وكثرة الدموع لغزارتها، حيث بلغت من كثرتها أن سألت على الحصى (الحصباء) فبللتها وصبغتها بماء العين، وهذا ما يمكن استنباطه من كلام القاضي رحمه الله، حيث يتبين لنا من كلامه عن الحديث (حتى خضب دمه الحصى) أنه يُصرح بأن هذه العبارة استعارة، مستنداً إلى أن الأصل اللغوي للفظ خضب هو في الصبغ وصبغ الشعر، وقد أسهم تحليله هذا في بيان الغرض البلاغي من هذا المجاز والذي هو التعبير عن شدة الحزن، حيث شَبَّه تأثير الدمع في الحصى بتأثير الصبغ في الشعر.

وبهذا الاستعمال المجازي الذي أشار إليه القاضي، يمكننا أن ندرك أن الفعل خضب اكتسب دلالات جديدة متولدة، حيث أصبح الفعل يدل على تأثير الشيء في غيره حتى غيره، وليس فقط الصبغ الحقيقي، كما رسم لنا صورة بليغة للحزن الشديد، حيث يُصوّر الدمع وكأنه مادة صبغ تغير اللون كالحناء وغيرها. وتصريح القاضي عياض بأن العبارة استعارة في الدمع والحصى، يؤكد وعيه البلاغي، وأنه لا يمر على مثل هذه التراكمات مروراً عابراً دون ذكر، أو تحليل، أو إشارة، ويثبت أن اللغة العربية تتسع بتوسع الاستعمالات، وأن اللفظ قد ينتقل من معناه الحسي إلى معنى مجازي بليغ.

قال القاضي رحمه الله: «(إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبْ غَضَبِي)»⁽²⁹⁾ هذا استعارة لكثرة الرفق والرحمة، وشمولها على العالمين فكأنهما الغالب، ولذلك يقال: غلب على فلان حب المال، وغلب عليه الكرم، والغالب عليه العقل، أي: أكثر خصاله أو أفعاله، وإلا فغضب الله تعالى، ورحمته، صفتان من صفاته راجعتان إلى إرادته ثواب المطيع وعقاب العاصي، وصفاته لا توصف بغلبة إحداها على الأخرى، ولا يسبقها لها لكنها استعارة على مجاز كلام العرب وبلاغتها في المبالغة»⁽³⁰⁾.

من خلال كلامه رحمه الله يتبين لنا أنه ذكر أن هناك تعبيراً مجازياً نوعه استعارة، حيث شَبَّهت الرحمة بكائن حيٍّ أو مقاتلٍ قويٍّ ينتصر ويسيطر فذكر المشبه (الرحمة) وحذف المشبه به (الغالب المنتصر)، ودلّ عليه بشيء من لوازمه وهو صفة (تغلب)، على سبيل الاستعارة المكنية، ولعل جمالها البلاغي يتمثل في إبراز المعنى المعنوي في صورة حسية ملموسة، وتأكيد سعة رحمة الله تعالى وعظمتها في قهر كل ما يعارضها من غضب.

وقد استشهد القاضي عياض على هذا الاستعمال المجازي للفعل (غلب) بنماذج من كلام العرب حيث ذكر أن العرب تقول: (غلب على فلان حب المال)، (وغلب عليه الكرم)، (والغالب عليه العقل)، أي: أكثر خصاله أو أفعاله، فهذه الاستعارات اللغوية الراسخة تؤصل لاستعارة (تغلب الرحمة على الغضب)، فكما يُقال: (غلب عليه الكرم) على سبيل المجاز، يُقال: (تغلب الرحمة غضب الله) على سبيله أيضاً. وإذا نظرنا إلى أصل الدلالة اللغوية للفعل تغلب نجد أنها تدل على القهر والتغلب والتفوق في الصراع بين متغالبين، وعادة ما يُستعمل في الصراع بين شيئين متكافئين، كغلبة جيش على جيش، أو رجل على آخر في المصارعة.

وإذ تبين لنا أن الفعل تَغْلِبُ استعمل استعمالاً مجازياً ندرك أن هذا الاستعمال المجازي، اكتسب الفعل به - حين أسند إلى صفات الله تعالى - دلالات معجمية جديدة متولدة تتمثل في كثرة الرفق والرحمة وانتشارها على العالمين، واتساعها لهم، فهي غالبية على الغضب وسابقة له.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القاضي عياض أورد تنبيها مفاده أن الوصف بالغلبة إنما هو استعارة، لا حقيقة، لأنه لا صراع بين صفات الله، وهذا يبين منهجه في التوفيق بين إثبات الصفات على حقيقتها وبين فهم المجاز في وصفها، فالرحمة والغضب صفتان حقيقتان، وغلبة إحداها على الأخرى من باب الاستعارة للمبالغة في بيان السعة والكثرة فلا يمكن حملهما على الحقيقة في هذا السياق.

صحيح البخاري: ج 3 : ص 1166. ونص الحديث « لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ (29)

الْعَرْشِ: إِنْ رَحِمْتِي غَلَبْتُ غَضَبِي.»

مشارق الأنوار: 2 : 589. (30)

قال القاضي عياض في شرحه لحديث (يمين الله ملأى)⁽³¹⁾: « من ذلك استعارة أيضاً، لما كان ما يتقبل، وما له قدر يأخذه أحدنا بيمينه استعير ذلك لما تقبله الله من عمل وأثاب عليه لحينه، وهذا كقوله: إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين⁽³²⁾ استعار لخصال المجد راية وللمبادرة لفعلها أخذ باليمين، وكذلك لما كان أكثر العطاء باليمين استعير لكثرة العطاء»⁽³³⁾.

أشار القاضي في كلامه إلى الاستعارة في قوله عليه الصلاة والسلام: (يمين الله) فقد صُوِّرَ فيها حال الله جل وعلا في عظمة جوده وسعة عطائه الذي لا ينفد، بحال الملك العظيم الذي امتلأت يده بالخيرات والعطايا، وهو دائم الإنفاق والعطاء، فالمُشَبَّه: حالة الله عز وجل في كمال غناه ودوام فيض عطائه، والمُشَبَّه به: صورة المُنفق الذي امتلأت يده بالخير وهو يبسطهما بالبذل والسخاء، ووجه الشبه بينهما: سعة العطاء ودوامه دون أن ينقص مما يملكه شيئاً، فالاستعارة هنا تمثيلية.

الدلالة الوضعية الأصلية للفظ (يمين) اليد اليمنى للإنسان، وهي عضو من أعضائه، يُستعمل في الأفعال الحسية المادية المتعلقة بيده.

أما في الحديث فقد استعمل استعمالاً مجازياً بمعنى التقبل والإثابة وكثرة العطاء، وبهذا الاستعمال المجازي تولدت دلالة معجمية اكتسبها لفظ "اليمين حين أسند إلى الله سبحانه وتعالى لما كان ما يتقبل، وما له قدر يأخذه أحدنا بيمينه، استعير ذلك لما تقبله الله من عمل وأثاب عليه لحينه، ولما كان أكثر العطاء باليمين استعير لكثرة العطاء.

وليدل القاضي على وجود مثل هذه الاستعارات في كلام العرب استشهد بقول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

حيث ذكر أن الشاعر استعار لخصال المجد راية، فشبه خصال المجد بالراية التي تُرفع وتُعرف بها، وللمبادرة لفعلها أخذ باليمين، فشبه المبادرة إلى فعل المجد بأخذ الشخص الشيء بيمينه (تلقاها باليمين) ووجه الشبه بينهما من يأخذ الراية بيمينه فيكون سابقاً إليها، كمن يبادر إلى خصال المجد فيكون سابقاً إليها، وهذا الاستشهاد يبين أن استعارة اليمين للتقبل والمبادرة والعطاء هي من مجاز كلام العرب المستقر في لغتهم.

خاتمة البحث

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

- 1- من خلال الدراسة تبين أن هناك علاقة وثيقة بين الدلالة المعجمية في أصل وضعها اللغوي وبين إرادة المعنى غير الأصلي، كما تبين أن منهج القاضي في نظريته للمجاز لم تكن عنده انفصلاً عن المعجم بقدر ما كان امتداداً وتوسعاً منطقياً قائماً على أصول دلالية ثابتة، ومن خلال تحليلات القاضي يتبين أن فهمه للحديث النبوي الشريف يتطلب إدراك هذا الانتقال الدلالي بدقة، وأن الخطأ في التمييز بين الحقيقة والمجاز قد يؤدي إلى تحريف المعنى المقصود.
- 2- ومن خلال تتبع مواضع الاستعارة في مشارق الأنوار يتضح أن القاضي عياضاً اعتمد طرقاً مختلفة في تحديد الدلالة الاستعارية، منها: القرآن الكريم كمرجعية أولية، وكلام العرب الفصيح شعره ونثره، وسباق الحديث العام، والمعاني المتداولة في لسان العرب.

صحيح البخاري: 6 : 2699. (31)

البيت للشماخ بن ضرار المازني وهو في الكامل في اللغة والأدب، لأحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (32) (ت 285هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت1401هـ]، نشر، دار الفكر العربي- القاهرة، الطبعة:

الثالثة 1417هـ - 1997م : 1 : 108.

مشارق الأنوار: 3 : 504. (33)

- 3- لم تكن معالجة القاضي عياض لقضايا المجاز والاستعارة نظرية جافة، بل كانت تطبيقية واقعية، تخدم التلقي وتسهل الفهم على القارئ، فقد كان حرصه شديداً على عدم الخروج باللفظ عن معناه المعجمي الأصلي إلا بقريضة واضحة، مما جعل منهجه علامة فارقة في المناهج الدلالية التراثية.
- 4- تبين للباحث أن القاضي عياضاً انتهج موقفاً وسطاً في قضية المجاز، لا يميل إلى التفريط الذي يلغي دور المجاز تماماً، ولا إلى الإفراط الذي يوسع دائرة المجاز دون ضوابط؛ بل كان يقف عند القرائن المحكمة، ويبني حكمه على أسس لغوية وشرعية متينة.
- 5- توصل البحث إلى أن هناك دوراً محورياً في منهج القاضي عياض للسياق في تحديد الدلالة المجازية؛ فالقاضي لا يبني أحكامه لمجرد الاحتمال العقلي، بل يشترط وجود قريضة تصرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى المجازي.

توصيات البحث

- في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يوصي الباحث بما يلي:
- الاهتمام بتحقيق ودراسة كتب التراث اللغوي والدلالي، خاصة المتعلقة بشرح النصوص الشرعية، لما تحويه من ثراء معرفي ومناهج تحليلية يمكن الاستفادة منها في الدراسات اللغوية المعاصرة.
 - إعداد معجم دلالي مستخرج من كتاب مشارق الأنوار، يبرز التطورات الدلالية التي سجلها القاضي عياض، ويوضح الانتقال من المعجمي إلى الاستعاري، ليكون أداة مساعدة للباحثين والدارسين.
 - دراسة الجوانب الدلالية التي وظفها شراح الحديث في مصنفاتهم.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- 1- البديع في البديع، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت 296هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م.
- 2- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت: 1423هـ.
- 3- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت 1362هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- 4- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة 2004م.
- 5- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق، د. أحمد خليل الشال، ط: الأولى 1435هـ-2014م، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية 205/4842م.
- 6- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة دمشق، الطبعة: الثالثة، 1407 - 1987.
- 7- علم البيان، عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان عام النشر: 1405 هـ - 1982 م.
- 8- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، د. فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا - الطبعة الثانية 1447هـ - 1996م.
- 9- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

- 10- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم [ت 380هـ]، قابله بأصوله وأعدده للنشر: أيمن فؤاد سيد، الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن - إنجلترا، الطبعة: الثانية (مزيدة ومنقحة)، 1435هـ - 2014م.
- 11- الكامل في اللغة والأدب، لأحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت 285هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401هـ]، نشر، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الثالثة 1417هـ - 1997م .
- 12- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م .
- 13- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت 711هـ) دار صادر بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة - 1414هـ (دلّ -)
- 14- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، تحقيق: صالح أحمد الشامي، دار القلم - دمشق الطبعة الثانية 1440هـ- 2018م .
- 15- المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، عبد القدر عبد الجليل، دار الصفاء، عمان 1435هـ-1978م
- 16- المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة: الثانية 1972م دار الفكر بيروت.
- 17- معجم التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- 18- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- 19- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة 1983م.
- 20- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح" , ابن يعقوب المغربي، نشر أدب الحوزة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 21- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر التهانوي (ت بعد 1158هـ) تحقيق: د.علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة الأولى 1996م.
- 22- النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني (ت 384هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة، 1976م 85.
- 23- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 3 - 483.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **LJERE** and/or the editor(s). **LJERE** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.